



ندوة

﴿ الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ﴾

يوم السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٤ م

الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا يوسف عليه السلام

إعداد

الأستاذ الدكتور / سعيد مراد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث

جامعة الزقازيق

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٤٠٣٧٥١٤ - ٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - ٢٦١٠٣١٢ - تليفاكس

Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, Te.Fax: No. 2610312
www.SAKC.gq.nu E-mail: salehkamel@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا يوسف عليه السلام

خلق الله الإنسان وسخر له ما في السماوات وما في الأرض حلالا طيبا ، وأعد الإنسان إعدادا خاصا يمكنه من عمارة الأرض والسعى في أرجائها يقول تعالى : "هُوَ أَشْدُّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْمَرَكُمْ فِيهَا (٦١) سورة هود" ويواصل القرآن دعوته للإنسان بأن يبذل كل طاقته لأعمار الأرض والتمكن من ثرواتها التي جعلها المولى عز وجل مصدر حياة الإنسان قال تعالى :

"وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" (١٠) سورة الأعراف" ولما كان الأنبياء والرسل مصدر هداية وإرشاد وأصحاب رسالة موجهة نحو الإنسان باعتباره المخلوق المميز بالعقل والمنوط به مسئولية الإعمار في الأرض ، فقد حظى الجانب الاقتصادي باهتمام الرسل بتوجيه نظر الإنسان إلى أن الاقتصاد أمر حيوي في بناء المجتمعات المستقرة الآمنة المطمئنة جنبا إلى جنب بجوار العوامل الروحية الأخلاقية. وكان يوسف عليه السلام من خلال ما ورد في كتاب الله عز وجل نموذجا للنبي الذي جمع في سيرته بين الجوانب الأخلاقية لروحية والجوانب الاقتصادية المادية. وسنحاول جاهدين أن نبين المنحى الاقتصادي في سيرته عليه السلام. من خلال تناول القضايا الآتية :

*** أولا : يوسف عليه السلام وقومه :**

إذا أردنا أن نتعرف على شخصية يوسف عليه السلام فعلينا أن نذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام" (١)

"ويوسف اسم عبري معناه "يزيد" وهو اسم بكر يعقوب من زوجته (راحيل) والحادي عشر من أولاد يعقوب الإثنى عشر ، ولد في (فدان آرام) ودعت راحيل اسمه يوسف قائلة (يزيدني الرب) وقد سمته أمه بهذا الاسم لاعتقادها بأن الله سيرزقها ابنا آخر وكان كذلك". (٢)

وينتمي يوسف إلى بنى إسرائيل هؤلاء القوم الذين كانوا من أصل آرامي من جهة الجنس ، وأطلقت كلمة إسرائيل على أسباط يعقوب الإثنى عشر "بنى إسرائيل" وقد عاشوا فترة من الزمن في أرض كنعان ، ثم رحلوا بعد ذلك إلى أرض مصر. (٣) وقد اتصف هؤلاء القوم بأوصاف شنيعة نتيجة فساد أخلاقهم كما صورتها التوراة. يقول محمد عزة دروزة : "وفي الإصحاح السابع والثلاثين خبر سكنى يعقوب في غربة أبيه في أرض كنعان ، ثم إخبار يوسف أباه بريبة شنيعة شهدها من إخوته بنى بلهة وبنى زلفة بينما كان يرعى الغنم معهم دون إيضاح لهذه الريبة الشنيعة ، ثم تطرق إلى تسجيل حب يعقوب ليوسف أكثر من سائر بنيه وصنعه قميصا موشى له وبغض أخوة يوسف لأخيهم حتى لم يكونوا يسلمون عليه نتيجة لذلك ، ثم ذكر قصة حلم يوسف ورؤياه الشمس والقمر وأحد

١- فخر الدين الرازي مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، المجلد التاسع ، ص ٨٨.

٢- د. بطرس عبد الملك ، د. جون الكسندر طمس ، إبراهيم مطر . قاموس الكتاب المقدس .

تأليف : نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، ص ١١١٥-١١١٧ .

٣- الآب منى السكين : تاريخ إسرائيل ، دير القديس : الأنبا مقار ، ١٩٩٧ ، ص ١٩ .

عشر كوكبا ساجدة له ، مما زاد في حسدهم وبغضهم له وجعلوا يتآمرون على قتله^(٤) وبعد أن يعرض دروزه لتفاصيل القصة يعلق قائلا : "وليس ما يمنع أن تكون القصة صحيحة ، ومهما كان من أمرها ففيها يسجل بنو إسرائيل الذين أثبتوها في مدوناتهم سورة جديدة من صور الأنانية القاسية من أخوة لأخيهم بدافع الحسد والغيرة ، هما كان فيها من قسوة وأذى وخديعة ولقد كان هذا وظل من مظاهر أخلاق بنى إسرائيل والذين اعتنقوا اليهودية من غير جنسهم ، والمتبادر أنه كان لهذا التسجيل أثر عميق في ذلك. ونقف عند ما ذكره الإصحاح من أخبار يوسف أباه بريبة شنيعة شهدا من أخوته بنى بلهة وبنى زلفة ، فالإصحاح لم يوضح هذه الريبة ، ولكن وصفها بالشنيعة يدل على أنها أخلاقية وجسمانية ، ولا شك أن لهذا التسجيل أثره فيما كان وظل بنوا إسرائيل ومن اعتنق ديانتهم يرتكسون فيه من موبقات جنسية وأخلاقية"^(٥) هذه أخلاق القوم كما صورتها التوراة كتابهم المقدس ، وقد عرض القرآن الكريم لردائلهم ومنها :

١- نقضهم العهود والمواثيق.

٢- سوء أدبهم مع الله تعالى وعداوتهم للملائكة ، وقتلهم الأنبياء.

٣- جحودهم الحزن ، وكراهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد.

٤- تحايلهم على استحلال محارم الله تعالى.

٥- تحريفهم للكلام عن مواضعه.

٤- محمد عزوة دروزه : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،

١٩٦٩ ، ص ٦٠.

٥- المرجع السابق ، ص ٦١.

٦- اتباعهم السحر والأفعال الشيطانية. (١)

إن مثل هذه الأخلاق تفسر لنا الدوافع الشيطانية التي دفعت إخوة يوسف عليه السلام للتآمر عليه. يقول المولى عز وجل "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِغِينَ" (٧)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨)

لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَيْبُكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)

قَالَ قَاتِلْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّامَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) سورة يوسف

وقد تعرض الراجز في تفسيره لبيان السبب الذي لأجله قصد أخوة يوسف إيذاءه فيقول : "ذلك أن يعقوب كان يفضل يوسف وأخاه على سائر الأولاد في الحب وأنهم تأذوا منه لوجوه : الأول : أنهم كانوا أكبر سنا منهما ، وثانيها : أنهم كانوا أكثر قوة وأكثر قياما بمصالح الأب منهما وثالثها : أنهم قالوا : إنا نحن القائمون بدفع المفسدات والآفات ، والمشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات" (٧)

هذا عن دوافع أخوة يوسف في النيل منه بل والتخلص منه ، أما عن أسباب تفضيل يعقوب عليه السلام ليوسف وأخيه فيقول الراجز : وأما تخصيصهما بمزيد من البر فيحتمل أنه كان لوجوه : أن أمهما ماتت وهما صغار وثانيهما :

^٦ - لمزيد من التفاصيل راجع كتاب : بنو إسرائيل في الكتاب والسنة. لفضيلة الإمام الأكبر

د. محمد السيد طنطاوى ، دار الشروق ١٩٩٧ ، ص ٣٩٣.

^٧ - الفخر الرازي : مفتاح الغيب ، مرجع سابق ، ص ٥٥.

لأنه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجاة ما لم يجد في سائر الأولاد ، وثالثهما : لعله عليه السلام وإن كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدم أشرف وأعلى مما كان يصدر عن سائر الأولاد^(٨) وخلصه القول أنهم خضعوا لوساوس الشيطان وأجمعوا أمرهم على الغدر بأخيهم والتخلص منه وهذا من أشنع الأخلاق ونفذوا ما عزموا عليه. "فَلَمَّا دَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُنَّ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (١٥) سورة يوسف

لقد أرادوا أمرا وأراد الله أمرا آخر والله غالب على أمره ، أردوا هلاكه وأراد الله نجاته ، والقرآن يصور ذلك تصويرا دقيقا. يقول تعالى : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال، يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما

يعملون (١٩) لو شروا بيمين بحس درهم معدودة وكانوا فيه من

الزاهدين (٢٠) وقال الذي اشتراه من مصر لا مؤثر أنه أكرم من مثواه

عسى أن ينفعنا أو نتخذه وكذا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض

ونعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا

يعلمون (٢١) سورة يوسف وهنا كانت حياة جديدة عاشها يوسف عليه السلام

على أرض مصر.

^٨ - المرجع السابق ص ٩٦.

"دخل يوسف مصر ، فيما يقدره المؤرخون حوالى سنة ١٦١٠ ق.م في عهد الملك ييببى من الأسرة السادسة عشر ، ثم بيع لعزير مصر ، ووزير خزانها ورئيس شراطتها^(٩)

جاء يوسف إلى مصر في عهد الهكسوس^(١٠) ومن الأدلة التى تؤيد ذلك أن يوسف بلغ في عهد الهكسوس حد التمكين في الأرض والسيطرة على خزائنها "لأن ذلك ما كان يمكن أن يصل إليه أجنبى وفد إلى مصر في عهد أى من الفراعين الأصلاء ، أما الهكسوس الغرباء فليس غريبا عليهم أن يختاروا مشرقيا من طينتهم لهذا المنصب الخطير ولا سيما إن كان صاحب رسالة ودعوة إلى عبادة إله واحد دون اعتراف بالآلهة المتعددة المحلية. " (يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَتَرَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (٣٩) { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَتْمُ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } (٤٠) "

^٩- د. عبد الصبور شاهين | صلاح عبد السلام الرفاعى : قصة الدين والنبوة في مصر قبل

الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص ٨٠

^{١٠}- الهكسوس Hyksos (الأسرة الخامسة عشر) كلمة الهكسوس ووفقا للتفسيرات المتعددة هى

الصيغة اليونانية للعبارة المصرية "حقاخاسوت" بمعنى أمير البلاد الأجنبية أو "أمراء الرعاة"

وتدرج تحت هذه العبارة الشعوب الآسيوية التى ترجع أغليبيتها إلى الأصل السادس مع

اختلاطها ببعض العناصر الحورية (نسبة إلى الحوريين) انظر باستال فيرفوس ، جان

يويوت ، ترجمة د. محمود ماهر طه : موسوعة الفراعنة ، الأسماء الأماكن الموضوعات ،

دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ، ٢٠٠١ ص ٢٦٩.

(يوسف ٣٩-٤٠) وقا. استقر به المقام في إقليم الشرقية حيث كانت عاصمة ملك الهكسوس.^(١١)

هذا هو يوسف الصديق بداية حياة مليئة بالأحداث التي تصور بعضا من سلوكيات وأخلاقيات قومه بنى إسرائيل.

*** ثانيا : مكانة يوسف عليه السلام وأخلاقه التي جعلته على خزائن الأرض :**

لقد من الله على يوسف عليه السلام بمنن كثيرة جعلته موضع تقدير من كل المحيطين به ومن أهم وأجل هذه المنن :

١- حب أبيه له ، فقد كان يوسف أثيرا عند أبيه مقربا إليه أكثر من سائر أخوته ، يخصصه بقسط كبير من الرعاية والحب ، وذلك ما بينته آيات القرآن قال تعالى : "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ" (٧) "إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (٨) (يوسف : ٧-٨).

٢- إن يعقوب عليه السلام أدرك مكانة يوسف عليه السلام وما ينتظره من المجد عندما قص رؤياه ، وهذا ما بينه القرآن في قوله : "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (٤) "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (٥)

^{١١}- د. تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ج٢ ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ ، ص ٣٥٤.

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) (يوسف ٤-٦) وهذا يدل على أن الله عز وجل قد أعد يوسف لأمر عظيم. يقول الرازي "يعنى وكما اجتبتك بمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شأن كذلك يجتبيك لأمر عظيم ، وقال آخرون : المراد منه إعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة" (١٢) وفي معنى قوله تعالى "ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب" يفسر البعض إتمام النعمة ههنا بسعادات الدنيا ، وسعادات الآخرة. أما سعادات الدنيا فالإكثار من الأولاد والخدم ، الاتباع والتوسع في المال والجاه والحشم وإجلاله في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد ، وأما سعادات الآخرة : فالعلوم الكثيرة والأخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى" (١٣) وقول آخر إن المواد من قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) خلاصة من المحن ، ويكون وجه التشبيه في ذلك بإبراهيم واسحق عليهما السلام هو انعام الله تعالى على إبراهيم بإتجائه من النار وعلى ابنه إسحق بتخليصه من الذبح" (١٤). وأجل نعمه باعتبارها النعمة الجامعة لكل النعم وهي النعمة التامة في حق البشر هي نعمة النبوة.

١٢- الرازي : مفاتيح الغيب : مرجع سابق ص ٩٢-١٣.

١٣- المرجع السابق نفس الصفحة.

١٤- المرجع السابق نفس الموضع.

٣- إذا كان يعقوب عليه السلام قد عرف مكانة يوسف فإن كبير مصر الذي اشتراه قد عرف أيضا مكانته فأوصى بإكرامه وحسن رعايته وقد مكن الله له في الأرض قال تعالى : "لَوْ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مِثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكْدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (٢١) سورة يوسف.

يقول صاحب الكشاف : (أكرمي مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما : أى حسنا مرضيا بدليل أنوله - إنه ربى أحسن مثواى - والمراد تفقيده بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة متى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا (عسى أن ينفعنا) لعله إذا تدرب، وراض الأمور وفهم مجاربها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته ، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد ، وكان قطفير عقيما لا يولد له ، وقد نغرس فيه الرشد فقال كذلك (مكننا) له : أى كما أنجبناه وعطفنا عليه العزيز ، كذلك مكننا له في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) كان ذلك الاتجاه والتمكين لأن غرضنا ليس إلا ما تحمده عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى ، أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره ، قد أراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى الأمر كله بيد الله ، والأشد ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (وحكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه ، وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزي

(المحسنين) تنبيهه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عفوان بأمره ، وأن الله أتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه" (١٥).

٤- لقد منح الله يوسف الإخلاص وصرف عنه السوء والفحشاء وذلك واضح في

قوله تعالى : "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهْ

كَذَلِكَ نَتُصَرِّفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

(٢٤) سورة يوسف لقد تعددت الأقوال في تفسير هذه الآية والذي نختاره في

بحثنا هذا ونعتقد أنه الحق ما قال به الرازي واختاره في تفسيره حيث يقول

: "إن يوسف عليه السلام كان برينا عن العمل الباطل ، والهم المحرم ، وهذا

قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب (١٦) وقد قدم

حججا على عصمة الأنبياء منها في هذا الموضوع قوله : "الحجة الأولى :

إن الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الأمانة أيضا من منكرات

الذنوب ، وأيضا مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة

والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب ، وأيضا الصبي إذا تربى في حجر

إنسان وبقي مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه

وكمال قوته فأقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم

المعظم من منكرات الأعمال.

إذا ثبت هذا القول فنقول : إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه

السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى

أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه ، فكيف يجوز إسنادها

١٥- الزمخشري : الكشاف ، المجلد ٢ ، دار الفكر ، ١٩٨٣ ، ص ٣١٠

١٦- الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : مرجع سابق ، ص ١١٨

إلى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ، ثم إنه تعالى قال في غير هذا ، الواقعة "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء" وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع وأفدح أقسام الفحشاء ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء^(١٧). هكذا نتحقق من أن يوسف عليه السلام كان عفيفاً طاهراً نقياً ، ويكفي أنه عليه السلام اختار السجن راضياً مرضياً حتى لا يقع في المكروه أو يرتكب المعصية حيث جاء على لسانه في القرآن الكريم "رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه".

٥- منح الله سبحانه وتعالى يوسف الجمال والوقار والمهابة وذلك واضح في قول النسوة حين خرج عليهن يوسف "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَكًّا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ اخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (٣١) سورة يوسف يقول الإمام القرطبي : "فخرج عليهن فجاء فدهشن فيه وتحيرن لحسن وجهه وزينته وما عليه ، فجعلن يقطعن أيديهن ، ويحسبن أنهن يقطعن الأترج"^(١٨) وفي قوله عز وجل (أكبرن) يقول الزمخشري : "أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع

^{١٧}- المرجع السابق : ص ١١٨

^{١٨}- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، دار الريال للتراث ، ص ٣٤٠٨

والجمال الفائق. قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم "مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا ؟ فقال : يوسف ، فقيل يا رسول الله كيف رأيته ؟ قال : كالقمر ليلة البدر ، وقيل كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها"^(١٩) وفي قوله تعالى "حاش الله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم" المضى تنزيه الله تعالى من صفات العجز ، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله "ما هذا بشرا" نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه ، حاسن الصور ، وثبتن له الملكية وبنتن بها الحكم"^(٢٠)

- ٦- لقد تجلت رعاية الله ليوسف عليه السلام حين صرف عنه كيد امرأة العزيز وصرف عنه السوء والفحشاء. وهذا من أعظم الأمور لأنه يؤكد على عصمة ذلك النبي الكريم وذلك بين في قوله تعالى على لسان يوسف "قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ { (٣٣) } فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { (٣٤) } (يوسف : ٣٣-٣٤) .

^{١٩}- الزمخشري : الكشاف ، مرجع سابق ، ص ٣١٧.

^{٢٠}- المرجع السابق : نفس الموضوع.

٧- من أوصاف يوسف عليه السلام أنه من المحسنين وهذا ثابت في قول الله عز وجل "إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (٣٦) سورة يوسف وكذلك وصف بالصدق في قوله تعالى : "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ (يوسف : ٤٦).

٨- اختتم الله عز وجل وصف يوسف عليه السلام بأجل وصف وهو الوصف الجامع لكل صفات الخير أثبت له الإيمان والتوحيد ونفى عنه الكفر والشرك وذلك واضح في انوله تعالى : ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (سورة يوسف ٣٧-٣٨).

بهذا نكون قد استعرضنا لأهم الأخلاق التي تحلى بها يوسف عليه السلام والتي نرى أن هذه الأخلاق هي التي أهلت يوسف لكى يكون على خزائن مصر والمتصرف في توجيه اقتصادها. ونرى أن كل من يعمل في مجال الاقتصاد عليه أن يتحلى بمثل هذه الأخلاق التي نحددها على سبيل الإجمال في الآتى :

١- التمتع بمحبة المحيطين به.

٢- العلم الجامع لكثير من العلوم والمعارف.

٣- حسن التربية والرعاية والأخذ بأسباب التميز والتفوق.

- ٤- التحلى بالإخلاص في العمل والبعد عن السوء واستقامة السلوك.
 - ٥- جمال الطبع والحفاظ على الكرامة حتى تحقق للإنسان المهابة والتقدير.
 - ٦- الثقة في الله وطلب العون الإلهي.
 - ٧- أن يجمع الإنسان بين الإحسان في العمل والصدق في القول.
 - ٨- الإيمان المطلق بالله عز وجل واليقين بأن الإيمان بالله الواحد مصدر كل توفيق ونجاح.
- وبعد هل يمكن لاسان ناجح أن يفرض في مثل هذه الأخلاق ؟ هل يمكن أن يتحقق استقرار اقتصادي بغير هذه الأخلاق ؟

*** ثالثا : مدخل إلى الفكر الاقتصادي عند يوسف عليه السلام :**

لقد أكد الإسلام على أن الحياة لا تستقيم لأمة من الأمم أو لشعب من الشعوب إلا إذا توفر لها الشبع من الجوع والأمن من الخوف في وقت واحد. وقد أشار القرآن إلى ذلك في أكثر من موضع. قال تعالى : {الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ} (قريش: ٤) يقول الدكتور إبراهيم الطحاوى : إن ضمان توافر هذين الأمرين مع استمرارهما معا مرتبط بشكرهما عبادة الله رب العالمين. وأن السبب الأول في فقدتهما معا أو أحدهما مترتب على كفرهما وجحودهما وتفريطا في عبادة رب العالمين^(٢١)

^{٢١}- د. إبراهيم الطحاوى : الاقتصاد الإسلامى مذهباً ونظاماً (دراسة مقارنة) مجمع البحوث

الإسلامية. القاهرة ١٢٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ٧

وقد بين القرآن هذه المعاني في أكثر من موضع. يقول الله تعالى :
 "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ
 مَكَانٍ فَكَفَرَتْ أَنْعَمَ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"
 (١١٢) (النحل : ١٧٢-١٧٣) ويقول جل شانه : "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا
 وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا
 فَاخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (الأعراف : ٩٦) ولقد أدرك يوسف
 عليه السلام هذه الحقيقة فأعلن أكثر من مرة إيمانه العميق بالله الواحد الأحد
 وتخلق بأخلاق أهل الإيمان من التقى والصدق والإخلاص وهذا ما حقق له النجاح
 في إدارة شئون الاقتصاد في مصر بما يحقق الشبع من الجوع والأمن من
 الخوف.

بإشعاع نور الإيمان في قلب وعقل يوسف عليه السلام وبما آتاه الله من نور
 البصيرة والقدرة على تفسير الأحلام تمكن من تحديد عناصر المشكلة الاقتصادية
 التي واجهت مصر. قال تعالى : "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي
 أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ" (يوسف : ٤٦) وفي تفسير هذه الآية يقول
 الإمام الشوكاني : قال أما السمان فسنون فيها خصب ، وأما العجاف فسنون
 مجدبة ، وسبع سنبلات خضر هي السنون المخاصيب تخرج الأرض نباتها

وزرعها وثمارها ، وأخرياسات المحول الجدوب لا تنبت شيئا. وأخرج عبد الرازق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانة ما أخبرتهم حتى اشترط عليهم أن يخرجوني ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين آتاه الرسول ، ولو كنت مكانة لبأرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر. (٢٢) إننا أمام عقلية اقتصادية تملك قدرة خاصة على تحديد أبعاد المشكلة التي تواجهها فغناصر المشكلة ١ وفرة الإنتاج وزيادته في فترة زمنية محددة .

٢- ندرة الإنتاج في فترة زمنية محددة.

٣- كيفية إدارة الأزمة في وقت الوفرة وفي ندرة الإنتاج.

وبهذا التحديد أرزت عقلية يوسف الاقتصادية وذلك واضح في قوله تعالى : (على ارجع إلى الذئس لعلمهم يعلمون) "فيعلمون بمقتضاه ، أو يعلمون فضلك ومكانك من العلم ، فيطلبوك ويخلصوك من سجنك" (٢٣)

ومن أبعاد الفكر الاقتصادي عند يوسف أيضا ، النظر في حل المشكلة وذلك بداية بإدراك الواقع ورصده (الخطة السبعية الأولى) سبع بقرات سمان ، سبع سنبلات خضر. أي السنوات السبع الذي يتوفر الإنتاج فيها ، (والخطة السبعية الثانية) سبع بقرات، عجاف ، وسبع سنبلات يابسات أي سنوات الجذب والقحط وهذا يقتضى النظرة المستقبلية التي تمكن المخطط الاقتصادي من اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي ومواجهة الأزمة.

٢٢- الإمام الشوكاني : فتح القدير ، ص ٣ ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ص ٣٠

٢٣- القاسمي : محاسن التأويل ، ص ٩ ، دار إحياء الكتب العربية ، ص ٣٥٤٨

*** رابعا : التخطيط الاقتصادي عند يوسف عليه السلام :**

التخطيط يقوم أول ما يقوم على الدراسة التفصيلية والعلم الجامع لكل الأبعاد الاجتماعية.

ولعل ذلك واضح في تحديد الفترة الزمنية التي تستغرقها خطة مواجهة الأزمة وهي أربع عشرة سنة مقسمة على فترتين :-

الفترة الأولى : سبع سنوات وهي تلك الفترة التي خطط لها يوسف تخطيطا محكما قائم على مراعاة الآتى :

١- العمل الجاد والشغل المستمر والزراعة لكل المساحات المتاحة لضمان زيادة الإنتاج.

٢- توفير المخازن اللازمة لتخزين الفائض من الاستهلاك وإدخاره للمستقبل وهذا واضح في قول المولى عز وجل على لسان يوسف عليه السلام :

"قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

مِمَّا تَأْكُلُونَ}" (يوسف : ٤٧) ، وهذا يعنى حث الناس على العمل والإنتاج ، والدعوة إلى تدبير حياتهم بحيث الاعتدال في الإنفاق حتى يتم تحقيق مدخرات، تمكن الإنسان من مواجهة المستقبل.

الفترة الثانية : سبع سنوات وهي تلك السنوات التي ستواجه فيها مصر وشعبها صعوبات اقتصادية نتيجة للقطر الشديد الذى سيصيب الحياة وذلك في قوله تعالى : "لَئِمَّ يَأْتِيَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا

قَلِيلًا مَّا تُحْصِنُونَ (يوسف : ٤٨) ، من القادر على تنفيذ هذه الخطط التي يحتاج إليها المجتمع. إن أقدر الناس على ذلك الشخص الذي يمتلك القدرة على التفسير والذأويل والتحليل إنه يوسف عليه السلام "قال الملك أنتوني به" أي أخرجوه من لسجن واحضروه ، لما علم من علمه وفضله "استخلصه لنفسى" أي أخصه بها ، دون العزيز ، جريا في عادة الملوك من الاستئثار بالنفيس العزيز ، قال ذلك لما تحقق براءته مما نسب إليه ، وكرم نفسه ، وسعة علمه "فلما كلمه" أي فلما ، أتوا به ، وكلمه ، أي خاطبه الملك وعرفه وشهد فضله وحكمته وبراعته - وجوز أن يكون فاعل "كلمة" يوسف عليه السلام "قال إنك اليوم لدينا مكين" أي ذو مكانة ومنزلة "أمين أي مؤتمن على كل شيء" (٢٤) وهنا سيتحول يوسف من مجرد عالم يطرح الإطار النظري للمشكلة ويقترح الحلول لها إلى الجانب التطبيقي حيث يتولى مسئولية تنفيذ الخطط التي رسمها.

ومن أفضل الدروس المستفادة من هذا الموقف الذي تحول فيه يوسف عليه السلام من سجين سلبت حريته ومتهم أو ذوى في شخصيته إلى أهم رجل على أرض مصر ما ذكره القاسمى حيث يقول : "قال بعضهم إن من أمعن النظر في قصة يوسف عليه السلام ، علم يقينا أن التقى الأمين لا يضيع الله سعيه ، بل يحسن عاقبته ، ويطل منزلته في الدنيا والآخرة ، وأن المعتصم بالصبر لا يخشى حدثان الدهر وتجاربه ، ولا يخاف صروفه ونوائبه ، فإن الله يعضده وينجح مسعاه ويخلد ذكره العاطر على مر الأدهار ، فإن يوسف عليه السلام لما لم يخشى للنوائب وعيدا ، ولا للتجارب تهديدا ، ولم يخف للسجن ظلما وشرًا ، ولا للتنكيل به ألما وضرا ، بل ألقى توكله على الرب ، وصبر إزاء تلك البلية ثابت

٢٤- المرجع السابق . ص ٣٥٥٨.

القلب - نال بطهارته وتقواه تاج الفخر ولسان الصدق طول أيام الدهر ، وها إن فضيلته لم يعف جميل، ذكراها مرور الأيام ، ولم يعبث بنضارتها كرور الأعوام ، بل ادخرت لنا مثالا نتتقى أثره عند طروء التجارب ، وملأنا نلؤذ به في المحن والمصائب ، ومقتدى نتدرب به على التثبيت في مواقف العثار ، وننهج منهاجيه في التقوى وطيب الإزار ، فننال في الدنيا سمة المجد ، ونفوز في الآخرة بدار الخلد^(٢٥) وهل هناك من المجد والفخار أعظم من أن يحظى بالزعامة والأمانة في ميدان الحكم والسياسة وتولى أمر البلاد في أعظم المهام وأصعب الظروف. يقول تعالى على لسان يوسف : "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا" (٥٥) ، "وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ

نُصِيبُ رِخْمًا مِّنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (٥٦) ، "وَكُلَّا جَرُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف : ٥٥-٥٧).

وفي تفسير هذه الآيات ذكر الفخر الرازي مسائل عدة من أهمها أسئلة سبعة وأجوبتها وهي :

- ١- لم طلب يوسف الأمانة ؟
- ٢- كيف طلب الإمارة من سلطان كافر ؟
- ٣- لم لم يصبر مدة ؟ ولم أظهر الرغبة في طلب الإمارة في الحال ؟
- ٤- طلب أمر الخزائن في أول الأمر ، مع أن هذا يورث نوع تهمة ؟

^{٢٥} - المرجع السابق ناس الصفحة.

٥- كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله (إني حفيظ عليم) مع أنه تعالى يقول (ولا تزكوا أنفسكم) ؟

٦- ما الفائدة في قوله (إني حفيظ عليم) ؟

٧- لم ترك الاستثناء في هذا ، فإن الأحسن أن يقول : إني حفيظ عليم إن شاء الله ؟ (٢٦)

ويجيب الرازي على هذه الأسئلة قائلا : "الأصل في جواب هذه المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لوجوه :

الأول : أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق ، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان.

الثاني : وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أقضى إلى هلاك الخلق العظيم ، فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.

الثالث : إن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في المقول.

وإذا ثبت هذا فنقول : إنه عليه السلام كان مكلفا برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه ، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق ، وما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب ، فكان هذا الطريق واجبا عليه ، ولما كان واجبا سقطت الأسئلة بالكلية (٢٧)

والأبعاد الاقتصادية في هذه الآية غاية في الوضوح وهي :

٢٦- الرازي : مفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، ص ١٦٤

٢٧- المرجع السابق ، نفس الصفحة.

- ١- رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان وأهم هذه المصالح ما ستعرض له الأمة من مخاطر القحط والضيقة الشديد.
- ٢- قوله عليه السلام (إني حفيظ) بجميع الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال (عليم) بجميع مصالح الناس.
- من هنا أدرك الملك قيمة يوسف عليه السلام ومنحه الثقة وأصدر أمره بتمكين يوسف من أمور الدولة ليدير شئونها وينفذ خططه التي عرضها.
- ولما صار له ملك مصر سار في أهلها سيرة حسنة ، أقام العدل حتى شهدوا له قائلين : والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه ، ساوى بين الجميع فلم يتميز أحد على غيره ، فكان لا يعطى لأحد أكثر من حمل بعير حتى يحقق الكفاية ويجتاز الأزمة.
- يوسف هو المسئول الأول عن خزائن مصر واقتصادها. ويقول أحمد بهجت "صار كبيرا للوزراء ، ولعل الجمع بين وظيفتي رئيس الحكومة ، ورئيس الخزانة قد ارسيت تقاليداً يومها"^(٢٨) إن هذا الجمع بين الوظيفتين يعنى التأكيد على المسؤولية الفردية ليوسف ذلك الخبير الذى وضع تصورا دقيقا للمشكلة الاقتصادية ، نزل يوسف إلى ميدان العمل يدفع الناس إلى العمل المتواصل لتحقيق أكبر معدل إنتاج في السنوات السبع الأولى. التى تمثل : مرحلة الإنتاج الكثيف : تلك المرحلة لتى لا تحمل أى قدر من الكسل أو التواني عن العمل. وفعلا نجح في إدارة شئون البلاد للوصول إلى الهدف المنشود ثم انتقل إلى : مرحلة توزيع الإنتاج لمواجهة المجاعة والقحط الشديد. إنه الأمين الصادق. لا خوف على اقتصاد مصر. كان الطعام يوزع "بنظام يشبه نظام البطاقات وهو نظم لم يعرفه العالم إلا في قمة حضارته بعد نشوء علم التخطيط والاقتصاد الموجه ،

^{٢٨}- أحمد بهجت : أنبياء الله ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ ص ١٥٢.

وكان قصد يوسف أن يوازن بين حاجات المحتاجين والزمن الطويل الذي يضطلع فيه بالتموين^(٢٩)

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَوِّا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) سورة يوسف إن ما وصل إليه يوسف كان من الله لا من أحد. سواه ، لقد صار في الملك لا يدافعه أحد ولا ينازعه منازع بل صار مستقلا بكل ما شاء وأراد^(٣٠)

إن يوسف عليه السلام من البداية يحظى بمعية الله وعنايته ، وقد منحه الله قدرة على تحمل الصعاب والمشاق ولعل ذلك ما مكنه من إصلاح المفسد وتدبير المصالح والقرآن يوضح من صفات يوسف التقوى والصبر فيقول : ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠) سورة يوسف وفي كل موقف يذكر يوسف نعمة الله عليه وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكَ مِنَ الْبُذُومِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَعَ الشَّيْطَانُ بَنِيَّ وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) سورة يوسف

^{٢٩} - المرجع السابق ، ص - ١٥٣

^{٣٠} - الرازي : مفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، ص - ١٦٦

خلاصة القول : إننا أمام نموذج إنساني متميز. وكيف لا يكون يوسف من النماذج البشرية المتميزة لاصطفاء الله له. يقدم لنا تجربة اقتصادية حية تعتمد أول ما تعتمد على قيم راسخة يحتاج إليها كل من يتعرض للعمل العام أو يتحمل مسؤولية مجتمع وشعب. وتقوم على ركائز هي :

١- الإيمان القوى بالله، والثقة في عدله ونصره وتأييده. إن الأزمات التي تتعرض لها المجتمعات والأفشل الذي يصيب من يتحمل مسؤولية القيادة ناتج عن ضعف الإيمان.

٢- الحب الذي يجمع بين الناس على اختلاف مستوياتهم والإيثار والتضحية والبعد عن الأنانية. إن الأنانية وحب الذات أول عوامل الفشل.

٣- التحصن بالعلم والحكمة وعمق التفكير والرؤية.

٤- الإخلاص والجدية في العمل والإحسان وأداء الواجبات على الوجه الأكمل.

٥- عمق النظرة المستقبلية واستلهام الحكمة والعون الإلهي في التخطيط للحاضر والمستقبل.

٦- العدالة وتحقيق المساواة بين الناس.

٧- الاعتراف بفضل الله وتوفيقه عند كل موقف. وإرجاع النجاح لا إلى المجهود الشخصي وإنما الذجاح والفلاح والتوفيق من الله عز وجل.

هكذا يمكننا التأكيد على أننا أحوج ما نكون اليوم إلى مثل هذه النماذج الإنسانية العالية الهمة من أمثال يوسف عليه السلام والحاجة أشد وأقوى اليوم لكي تخرج المجتمعات الإسلامية من أزمتها إلى هذه الأخلاق ، فهل من مستجيب

أ.د. سعيد مراد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث

جامعة الزقازيق

*** المصادر والمراجع ***

- ١- القرآن الكريم
- ٢- العهد القديم
- ٣- إبراهيم الطحاوى : الاقتصاد الإسلامى مذهباً ونظاماً (دراسة مقارنة) مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، ١٢٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٤- أحمد بهجت : أنبياء الله ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٣.
- ٥- باستال فيرفوس ، جان يويوت : موسوعة الفراعنة ، الأسماء ، الأماكن ، الموضوعات ، ترجمة د. محمود ماهر طه ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠١.
- ٦- د. تمام حسان : البيان في روائع القرآن. مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣.
- ٧- الرازى : مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م
- ٨- الزمخشري : الكشاف ، دار الفكر ، ١٩٨٣م.
- ٩- الشوكاني : فتح القدير ، مصطفى البالى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ
- ١٠- د. عبد الصبور شاهين ، I صلاح عبد السلام الرفاعى : قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١١- القاسمى : محاسن التأويل ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت.
- ١٢- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، د.ت.
- ١٣- د. محمد السيد طنطاوى : بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧.
- ١٤- محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٩م.
- ١٥- الأب متى السكين : تاريخ إسرائيل ، دير القديس ، أنبا مقار ، ١٩٩٧.

* المعاجم *

قاموس الكتاب المقدس. تأليف عدد من الأساتذة والاختصاصيين ومن اللاهوتيين. تحرير : بطرس عبد الملك ، جون إكسندر طمس ، إبراهيم مطر ، القاهرة ، د.ت.